# صاحب السماحة و الفضيلة الشيخ الكوثري بقلم الشيخ محمد إسماعيل عبد رب النبي واعظ القاهرة

**في يوم الأحد (في التاسع عشر من ذي القعدة سنة 1371) و بحي العباسية من ضواحي مصر، توفي إلى رحمة الله العالم العالمي، و البحاثة اللوذعي، و المؤلف المحقق الراسخ في العلم الواسع الأفق، و المفكر العبقري، و المناظر الذي لم يقهر قط في حياته، و سيف الله المسلول على رقاب الملاحدة و الفرق الضالة، و أقدر ناصر و مناضل عن السنة النبوية، و أبرع محام و حارس للعقائد الدينية الصحيحة، و صاحب المؤلفات القيمة الممتعة في كل علم، و التعاليق البارعة في شتى الفنون، و الذي انتهت إليه الزعامة في علوم السنة المحمدية – و لا سيما – فن الجرح و التعديل، و معرفة أحوال الرجال و تراجم العلماء و تاريخ الفرق الإسلامية، و مناشيء اختلافها و أسباب تعددها و تطورها.**

**ذلكم هو العلامة صاحب السماحة و الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد زاهد بن حسن الكوثري وكيل المشيخة العثمانية سابقا.**

**كان – رحمه الله رحمة واسعة – دمث الخلق، كريم الطبع. يزيده التواضع العلمي الساحر رفعة، و الإنصاف الأدبي مكانة، أشهد أنه كان يحب في الله و يبغض في الله، و كان يمثل جلال العلم و وقاره أروع تمثيل، و كان لبق الحديث يديره بمهارة فائقة.**

**و إذا ما سئل في معضلة، أخذ يكشف الغامض من جوانبها، و يشرح حقيقتها شرح الخبير بأصولها و فروعها، العليم الملم بخوافيها و قوادمها، في بيان فياض و قوة حجة، حتى إنه ليرغم السماع على الإنصات التام، و يجتذب قلوب الجلاس نحو بيانه و حديثه.**

**و كان – قدس الله روحه – مهيب الطلعة كامل الرجولة حسن الصورة جميل المعاشرة هاشا باشا عند اللقاء، كان يقول فلا يداجي، و ينطق فلا يحابي، و كان شجاعا في الجهر بالحق لا تأخذه في الله لومة لائم، بل كانت شجاعته منقطعة النظير في هذا العصر، و كان أمينا ثبتا في العلم و النقل.**

**و أشهد أنه – رضي الله عنه – قد علمني بالفعل و القول صفة التثبت و التحري في كل شيء، و لقد التمست من فضيلته إجازة في رواية الأحاديث النبوية و علوم السنة، فتفضل و شرفني و أجازني إجازة عامة شاملة، أن أروي عنه جميع ما يصح له و عنه روايته من حديث و تفسير و فقه و أصول، و توحيد و مصطلح و حكمة، و عربية إلخ، و خلد تلك الإجازة بخط يده الكريمة في صلب (ثبته) الشهير الموسوم (بالتحرير الوجيز فيما يبتغيه المستجيز).**

**و ما ذهبت إلى منزله العامر بالعباسية لزيارة أو طلب علم، أو استطلاع رأيه في كل نازلة أو حادثة، إلا وجدت زوارا و طلبة علم، و أكابر العلماء من كل قطر، هذا يسأله، و ذلك يستنصحه، و أولئك يسألون عن المشكلات و المعضلات، و مصادر الكتب النفيسة المطبوعة و المخطوطة، فكنت بحرا فياضا و سيلا متدفقا، و كل يرتشف من معين علمه الدفاق الذي لا يغيض فكان بيته المعمور كعبة للقصاد من جميع الشعوب.**

**و كان – عليه سحائب الرحمة – يجيد أربع لغات. و أذكر جيدا أن الحكومة أجرت مسابقة في الترجمة منذ زمن بعيد، فتقدم لها عدد كبير، فإذا بأستاذنا الكوثري – سقاه الله من الكوثر – هو الأول في الناجحين.**

**و لفضيلة الأستاذ حساد –كما لكل موهوب و نابغة – و على قدر فضل المرء يكون حساده. و لقد سمعت غرا أو مفتونا يرميه بالتعصب لمذهب الحنفية، و هي فرية يكذبها الأمر الواقع، و سببها أن أستاذنا الكوثري كان قوي العارضة، لا يرحم كل من يتهجم على الحنفية بالباطل، أو يتجنى على الإمام أبي حنيفة النعمان زورا و بهتانا، شأنه في كل دفاع عن الملة أو الأئمة أو الحق أو العلم.**

**و صفوة القول: أن أستاذنا الكوثري كان عالما قام بواجبه في خدمة الإسلام، و أدى رسالته العلمية على أكمل وجه. و فتح في مصر مدرسة علمية فكرية، و ترك من المؤلفات ثروة خالدة.**

**فكانت هجرته من تركيا إلى مصر أروع هجرة في العزة و الكرامة و جلال العلم و النفع العام لعموم المسلمين و التضحية المثالية.**

**رحم الله الفقيد و أسكنه فسيح جناته و أنزله منازل الأبرار مع الأنبياء و الصديقين و الصالحين.**

**الابن البار و التلميذ الوافي واعظ القاهرة**

**محمد إسماعيل**